رسائل ابن عربي

كتاب التنبيهات وكشف الستر
وتبصرة الطالب ورسائل أخرى

تحقيق وتقديم
قاسم محمد عباس

المجلد السادس



ص.ب. 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت-لبنان
هاتف: ٦٥٩١٤٨-٩٦١١ فاكس: ٦٥٩١٥٠-٩٦١١

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

الاتحاد الكوني
في حضرة الإشهاد العيني

التحقيق

اعتمدت في تحقيق نص رسالة (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني) على مخطوطتين أساسيتين:

الأولى: المخطوطة المرقمة (٣٠٣٠١) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع صوفي ناقص الآخر، يقع في (١٠٦) ورقة، يحتوي المجموع على طائفة من الكتب والرسائل في التصوف، تبدأ رسالة (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني) من الورقة ٨٤ وجه، وتنتهي بالورقة ٩١ وجه، وقد أفادتنا هذه النسخة - التي تبين لنا أنها منقولة عن المخطوطة الأم التي اعتمدناها وهي المخطوطة المرقمة (٣٧٩١) - كثيراً في قراءة بعض الكلمات غير الواضحة أو المطموسة بفعل عملية الصيانة التي أجريت على النسخة الأم.

وصف النسخة:

- مقاس الصفحات: ١٥ × ١٠ سم.
- عدد الأسطر: ٢١ سطراً.
- عدد كلمات السطر: ١١ - ١٣ كلمة.
- نوع الخط: نسخ حديث.
- نوع الجلد ولونه: جلد بني.
- نوع الورق ولونه: ورق أبيض صقيل يرقى إلى القرن ١٣ الهجري.
- اسم الناسخ: تخلو المخطوطة من ذكر اسم الناسخ.
- تاريخ النسخ: يوم السبت السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٥٣ هـ.

الثانية: المخطوطة المرقمة (٣٧٩٥) المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، وهي مجموع في التصوف يقع في (١٠٣ ورقة)[١]، وجاء تسلسل رسالة (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني في المجموع الرسالة: ١٣، تبدأ الرسالة من الورقة ٨٩ وجه وحتى الورقة ٩٣ وجه، بقياس ١٥ × ١٠ سم، وعدد الأسطر ٢٨ سطراً في كل صفحة، تضمن كل سطر منها ١٢ كلمة تقريباً.

كتبت الرسالة بخط نسخ دارج، على ورق يرقى إلى القرن العاشر الهجري، وخلت الرسالة من اسم الناسخ، لكنه ورد أنها نسخت يوم الجمعة أول يوم في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٤ هجرية، دوّنت الرسالة بمداد أسود، بينما دوّن عنوان الرسالة بمداد أحمر في صفحة منفصلة، كذلك الفوارز التي استخدمت كعلامات توقف، وقام الناسخ بتصفيح أوراق الرسالة التي رقّمت ترقيماً حديثاً بمداد أحمر.

---

(١) تمّ الحديث عن هذه المخطوطة ووصفها في المقدمة التحقيقية لرسالة (كشف الستر) فانظرها هناك.

...تعليم، بلسان التحكيم، ان انظر في د...
...من يجب له التقدم ممن يجب له النظر، و...
...بين المكاسب والمواهب، وقلت لمن عاينت من ا...
...حضرة المهيمه، وقلت لمن عاينت من الارواح المسخرة، الزموا المقام
...يت لمن عاينت من الارواح المدبرة، الزموا الهياكل المدبره، فراح كل صعـ...
...نزله ليشاهد منزله، وكنت قد عاينت المطوقة الورقا، وحملها الغربية العنقا، عن
...ي لتقسيم التنازل، ذهلت عن المنازل، فانا علم الكون، والمخبوء في اردية الصون
...فتري على جماعة من العقلاء، وتعصب لاخذي عصابة من الفضلاء، فنصبوا شركهم
...اكثرهم لصيدي، واحالوا على ما مددتهم به ليستخرجوا حزي، وما كانت الهمم قد
...وفرت لتحصيلي في شركهم الفكري، وحصل فيها عقاب على صورتي من الموطن الوهمي
...الوا هذا هو الحق المبين، ولو عرفوا ان الحق ما بان لهم ولا يبين، فان المعرفة بي وبوجودي
...وتوقفه على الوهب، مصروفة عن الكسب، فاستفزهم بشبهته الشيطان، وتخيلوا انهم
...ظفروا بالزبا، وما نزلوا الا بالغيطان، واشتبه عليهم القدم بالقدم، فحكموا علي بالقدم
...ان وجودي لا عن عدم، فتركتهم بشبهتهم لحما على وضم، وهكذا ينبغي فيمن اهتضم الامر
...الالهي الوهبي ان يهتضم، فانا بريء مما نسبوا، وكاذب بما نصبوا، فان الله جل ثناؤه
...القدم، وانا اذ ذاك محكوم علي بالعدم، ثم اوجدني عن عدم لسابقة القدم، فظهر
...ني، وانار بعلمه كوني، وناط بي الفقر والعجز، واماط عني الأزر والعز، فانا الذليل
...زي لا يعز، والقوي الذي لم يزل يعجز خطبة الغربية العنقا فلما فرغ العقاب
...كلامه، واتى على بيان مقامه، قامت العنقا تعرب، عن وجودها وتغرب بعزة
...وجودها، فقالت انا عنقا مغرب، ما زال مسكني بالمغرب، بالمقام الوسيط على
...لق البحر المحيط، اكتنفني العجز من الجهتين، وما ظهر قط لوجودي عين، انا الـ...
...انا الذي لا عين لي موجود، وانا الذي لا حكم لي مفقود عنقاء مغرب قد تعوزني ذكرها
...ها وبات وجودها مسدودا ما سير الرحمن ذكري باطلا، لكن لمعنى سره المقصود
...نني وهاية اسرارهم، عرفا انها نصر اطنا ممدود والسا لكون على مراتب ن...
...فهم من نوره التجريد، فبي تكون الحدود، وعلي توقف الوجود، يسمع بـ...
...ا اري، وليس الحديث بي حديثا يفترى، انا العربية العنقا، وامي ا...
"العقاب المالكة، وولدي الغراب الحالكة، انا عنصر النو...
...ا قبل النور المطلق فانه ضدي، ولا اعرف...
...علي فهو بعيد الفهم، مفهوم تحت
...لكون الاعلى والاسفل ا...

نموذج من رسالة الاتحاد الكوني

بسم الله الرحمن الرحيم

وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم. الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، يقول عبد اللّه الفقير إلى اللّه، (محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي)، عفا اللّه عنه، وختم له بالحسنى، هذا كتاب كريم، وخطاب جسيم، كتبت به لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد:

من انتقاصي إلى كمالي — من انحرافي إلى اعتدالي[1]
ومن سناي إلى جمالي — ومن سنائي إلى جلالي
ومن شتاتي إلى اجتماعي — فمن صدودي إلى وصالي
ومن خسيسي إلى نفيسي — فمن حجار إلى اللآلي
ومن شروقي إلى غروبي — فمن نهاري إلى الليالي
ومن ضيائي إلى ظلامي — فمن هداي إلى ضلالي
ومن حضيضي إلى استوائي — فمن زجاج إلى العوالي
ومن دخولي إلى خروجي — فمن محاقي إلى هلالي
ومن طِلابي إلى نفوري — فمن جوادي إلى غزالي
ومن نسيمي إلى غصوني — ومن غصوني إلى ظلالي
ومن ظلالي إلى نعيمي — ومن نعيمي إلى محالي
ومن محالي إلى مثالي — ومن مثالي إلى محالي

(١) من المنسرح، ديوان ابن عربي، ٣٤ ـ ٣٥.

ومن محالي إلى صحيحي ومن صحيحي إلى اعتلالي
فما أنا في الوجود غيري فما أعادي وما أوالي
وما أنادي على فؤادي من أجل رام ماضي النصالِ
فإن رامي النصالِ[1] جفني إلى فؤادي بلا نبالِ
فما أحامي على مقامي وما أمالي فما أبالي
فإنني ما عشقت غيري فعين فصلي هو اتصالي
فلا تلمني على هواي فلست عن هاجري بسالي
فظاهري عاشق وسري معشوق قلبي على التوالي[2]

وإني لا أزال في هذا الكتاب أخاطِبني عني، وأرجع فيها إليّ مني، فمن سماي إلى أرضي، ومن سنتي إلى فرضي، ومن إبرامي إلى نقضي، ومن طولي إلى عرضي، ولهذا أقمت القسطاس، وراقبت الأنفاس:

فمن حسي إلى عقلي ومن عقلي إلى حسي[3]
بعلمين غريبين بلا شك ولا لبسِ
ومن نفسي إلى روحي ومن روحي إلى نفسي
بتحليل وتركيب كمثل الميت في الرمسِ
ومن حدسي إلى علمي ومن علمي إلى حدسي
فنور العلم ممدود ونور الحدس ما يمسي
ومن قدسي إلى رجسي ومن رجسي إلى قدسي
فقدسي كان في وقتي ورجسي كان في أمسي
ومن إنسي إلى جني ومن جني إلى أنسي
فجني يبتغي همي[4] وإنسي يبتغي أُنسي
ومن حبسي إلى سعتي ومن سعتي إلى حبسي
لنكر قام في نفسي على عقلي وبالعكسِ

---

(١) في الديوان «السهام».

(٢) لم يرد هذا البيت في الديوان.

(٣) من الهزج، ديوان ابن عربي، ٣٥ ـ ٣٦.

(٤) في الديوان «غمي».

ومن أيسي إلى ليسي ... ومن ليسي إلى أيسي
بسُعد فيه تأليف ... كما في شته نحسي
ومن جنسي إلى ضدي ... ومن ضدي إلى جنسي[1]
فلولا (باقل) ما لا ... ح نور الفضل في (قَسّ)
ومن شمسي إلى بدري ... ومن بدري إلى شمسي
لإظهار الخفايا في ... بطون نواشيء دبسِ
ومن فرس إلى عرب ... ومن عرب إلى فرسِ
لشرح قوام أسرار ... ورمز حقائق نكسِ
ومن أُسي إلى فرعي ... ومن فرعي إلى أُسي
لعيش دُسَّ في موتِ ... بحسٍ أو بلا حسِ
فلا تهتمِ يا نفسي ... بقول الحاسد النكسِ
وقول الجاهل المغرور يا ... ريحانة الأنس[2]
فكم من جاهلٍ قد قال ... في أرواحنا الخرسِ
لدى تنزيل تنزيلي ... بروح النفث والحسِ
كأُنس فيه شيطانٌ ... يُخبّطه من المسِ
فإن الناس ما زالوا ... من التحقيق في لبس
فسر اللّه موجودٌ ... مبين الجهر والهمس
وجود الحق عين الخلق ... قبل الروح والنفس[3]

وسميت هذه الرسالة بـ (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني، بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية)، خاطبت بها أبا الفوارس (صخر بن سنان)، مالك أزمّة الجود والبيان، ولكل أهل العرفان. وهذه أول الرسالة، وباللّه أستعين، فهو المؤيد سبحانه وتعالى والمعين.

(١) لم يرد هذا البيت في الديوان.
(٢) في الديوان «النفس».
(٣) لم يرد هذا البيت في الديوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على الرؤوف الرحيم، إلى الثالث والثاني، ورب المثالث والمثاني، والمشار إليه في المثاني، القاصر الفاني، والسائر الثاني، الناكص لظله، والناكس لذله، الجواد الذي لا يقبل جوده، والموجود التام الذي جهل وجوده، المنبعث من الثنتين، والمبعوث بالقوتين، معتمد الأركان، [٨٩ وجه] ومعتد الإمكان، ومستند المكان، رقيقة الآن، وحقيقة الزمان، ومنتهى الأمان، ومستوى الرحمن، ودقيقة المان، وسلطان الإنس والجان، جان بن جان، الإنسان في الإنسان، الواهب المحسان، أبو الفوارس (صخر بن سنان)، مالك أزمّة الجود والبيان، استوهب اللّه له من المواهب القدسية أسهلها وأحلاها، ومن المراتب المؤسسة أكملها وأعلاها، سلامٌ طيبٌ أثيرٌ مبارك يخص مقامكم الرفيع أتمه وأزكاه، ورحمة اللّه تعالى وبركاته ورضاه. أما بعد فإني أحمد اللّه إليّ، الذي سواني وعدّلني، وفي صورةٍ أحسن تقويمٍ ركبني، ثم عرّفني بي، وأظهرني لي، فعشقتني، فلا أحب سواي، وهُيّمت فيّ بين بعدي وقربي، فما أخاطب إلاّ إياي، وقلت في شأني على لساني، مما أعاني من المعاني أني:

فلو رآني إذا أتاني ... سراً وجهراً أنا بذاتي[1]
وقلتُ أنعم فقال طوعاً ... وكان مني ليّ التفاتي
فُنيتُ عني بعين أني ... وعن عداتي وعن ثقاتي
وعن وعيدي وعن مزيدي ... وعن نعيمي وعن عداتي
وعن شهيدي وعن شهودي ... وكنت لي بي نعم المؤاتي
فيا أنا رُدّني بعيني ... إليّ حتى أرى ثباتي
فرَدني بين إليّ مني ... فلم يقم بي سوى صفاتي
فصال كفي على عصايَ ... وصال عودي على صفاتي

(١) من المنسرح، ديوان ابن عربي، ٣٦ ـ ٣٧.

فسال نهر البروج منها … عشراً وثنتين مُعلَّماتِ
فقلت لي يا أنا فزدني … مني ثباتاً على ثباتي
هذي علوم الحياة لاحت … على وجودي من النباتِ
فأين مسرى اللطيف مني … ما أودع اللّه في الذواتِ
فزدتني ما طلبت مني … فدام شوقي إلى مماتي
فصرت أشكو الغرام مني … إليّ كيما تبدو سماتي
إلى جفوني من عين كوني … فزاد جمعي على شتاتي
وصلتُ ذاتي وجداً بذاتي … من أجل ذاتي مدى حياتي
ولم أعرّج على جفائي … وطول هجري وسيئاتي
أنا حبيبي أنا محبي … أنا فتايَ أنا فتاتي

أما بعد فالكتاب إليّ من المدينة الممكنة بالاستواء، والمعينة في المستوى، والمحصنة بالقوى، طور سينين، والبلد الأمين، المسوّى من الماء والطين، والجامع بين أحسن تقويم، وأسفل سافلين، معرّفاً إياي بما طرأ بيني وبيني، وما شاهده كوني من كوني؛ وذلك أنه لما رُفعت لنا أعلام المشاهدة، ووضعت عنا آلام المجاهدة، وصار التجاري بحكم الموافقة والمساعدة، امتطوت براق الهمة، وخرجت عن كون هذه الغمة، فوقعت في بحر الهيولى، فعاينتُ الآخرة والأولى، فقلت: تباً لمنكري الجنان، والدار الحيوان، وملاعبة الولدان، ومعانقة الحور الحسان، ولصوق الأبدان بالأبدان، من عاين الحافظ أثبت اللافظ، فإن خط الاعتدال غير ميال، وعرفت هناك أن منكري حشر الأجساد ما برحوا من الميلين، وما انفكوا من ربقة الأربعة والاثنين، ثم صحتُ واحرباه! واحر قلباه! من الكيان هربت، وها أنا فيه، فأين ما طلبت؟ فسمعت الخطاب مني، لا داخلاً فيّ ولا خارجاً عني، وهو يخبرني أني على المدرجة، فكيف تطلب الدرجة؟ أين أنت والاستواءات؟ أين أنت والاتكاءات؟ أين أنت والرفارف العُلى؟ أين أنت والأفق الأعلى؟ أين أنت وحجب البهاء؟ أين أنت والستر الأزهى؟ أين أنت والعمى؟ أين أنت وحجاب العزة الأحمى؟ أين أنت والهويات المطلقة؟ أين أنت والانيات المحققة؟ أين أنت وحضرة الإشارات؟ أين أنت والمحادثات؟ أين أنت والمسامرات؟ أين أنت والشجرة العلى؟ أين أنت والفروع الدنى؟ أين أنت والغريبة العنقاء؟ أين أنت والمطوقة الورقاء؟ أين أنت والغراب الحالك؟ أين أنت والعقاب المالك؟ يا محجوب كيف تسأل بالأين عن العين؟ وأنت [٨٩ظ] مقام لا يحتمل المين؟ فقلت أيها الزاجر! لقد أكملت، أما علمت أنك من مقامك تكلمت؟ أنت في حضرة العين، معرى عن الآن والأين، وأنا في هذه اللجة العمياء، والدلجة

السوداء، والداهية الدهياء، معدن المين والريب، ومحل النقص والعيب، وهل يصيح واحرباه! إلا أسير الكم وحبيس الحكم؟ فإن أنت أخرجتني من بين تلاطم هذه الأمواج، وأرحتني من معاناة هذا الليل الأليلِ الداج، فإني لا أفوه بطرف، ولا أعرّج على حرف، فجذبني جذبة عزيز مقتدر، وقال: إنك مغلوب فانتصر(١)، فقلت: انتصر بيدك اليمنى، من كلتا يديك يمين(٢)، فإنه القوي الأمين، والوفي الذي لا يمين فقال: كيف يهجوني من يرجوني؟ فقلت: كما يمدحك من يمنحك؟ فلما جذبني، رأيتني في غير الصورة التي فيها كنت، وقد ثبتُّ فيها وتمكنت، فقلت: يا أنا! فقال أنا: مرحباً فقلت: لا مرحباً ولا أهلاً، ولا سعة ولا سهلاً! فقال: يا قرة العين! ما رأيك؟ ويا أسير الكون! ما أصابك؟ فقلت: كم ذا تحجبني عني؟ فاكشفني لي حتى أعرفني، هذا الوحي ممدود، ولوائي معقود، وعلمي محدود، ومقامي محمود، وسري مشهود، ولُبي موجود، ومطلوبي مفقود، وأنا في عالمي معبود، أُدعى كلمة الوجود، فلو فُنيتُ هذه الأعيان، وتلاشت هذه الأكوان، وغُيِّبتُ عن الاستواء الرحماني والاسم الرّباني، أمكنني أن أُسر باللمحة، ولا أتضرر بالمنحة، قال: قد فُنيت الأقلام، وذهبت الأعلام، وراحت الأسماء، واحتجب الاستواء، ورفعت الألواح، وفقدت الألباب، والأرواح، ولكن لا بدّ لك من ظلمة الجنة الدهماء، ودائرة الماء، والقلم الأعلى، والقدم الأولى، والنون المكنون، واليمين المصون، فعندما سمعت أن أثراً من الكون أمامي، خفت أن يقطعني عن إلمامي، فانتهضتُ من تلك الظلمة المدلهمة، وتركت بها بُراق الهمة، ورُفعت على أسرة اللطائف ومتكئات الرفارف إلى أن وصلنا مقام الابتهاج، أتمايل فيه تمايل السراج، فقلت: ما لي وحالة السماع؟ فقيل: حركك حسن الإيقاع، فقلت: ما أحسنت به! فقيل لي: انتبه! فإنه بك لا أنت به، فقلت: الحقيقة في غنى عن إيقاع الغناء، ومطلبها الفناء في الفناء، فحجب عن عيني عينها، وحال بيني وبينها، ثم قال لي: أين أنت من العالم ومني؟

قلت: بين التعني والتمني، مطلبي في العماء، وأنا في الماء، وروحي في السماء، وعرشي في الهباء، وأهلي في سباء، وملكي في الاستواء، وحكمي في قدمي السواء، وفَلَكي في الفُلك، وحجابي في المُلك، وتثليثي في الهيولى، ومحنتي في الأولى، وبدايتي في الحافرة(٣) وغايتي في الآخرة، وحلتي في زحل، ومناجاتي في المشتري الأكمل، وخلافتي الإنسانية في المريخ

---

(١) إشارة إلى الآية ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، سورة القمر، الآية ١٠.

(٢) إشارة للحديث النبوي (كلتا يديه يمين) أخرجه مسلم في صحيحه: امارة: ١٨.

(٣) الحافرة: الخلقة الأولى، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي في أول أمرنا. لسان العرب: مادة (حفر)

الأحمر، وقلبي في السيد الإبراهيمي الأكبر، وحُسني في زهرة الاحكام، وإمضائي في عطارد الافهام، وخلافتي الإلهية في البدر الأرفع، وهيكلي في العنصر المربع، قال: هذا حظك من كوني، فأين حظك من عيني؟

فقلت: ـ يا أيها المشير! المناسبة تكون بالنقيض وبالنظير، والنظير الملازم يكون بالذاتي واللازم.

فقال المشير: أريد مناسبة النظير فقلت [٩٠و] في رسمي رسمك، وفي نعتي نعتك، والإجمال أحسن من التفصيل، في هذا القبيل من أجل أبناء السبيل.

فقال: صدقت! فأين مناسبة النقيض، بحكم الحقيقة، لا بحكم التعريض؟.

قلت: في عدمي وجودك، وفي بخلي جودك، وفي كلامك خرسي، وفي قولك جرسي، وفي استحالتي قدمُك، وفي بدايتي قِدمُك.

قال: علمتُ أنك علمتَ، ونعم به ما حكمت.

ثم كَشَفَ لي عن شجرة البستان الكلية، الموصوفة بالمثلية، فنظرت إلى شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وثمرها بين إله الاستواء، وبين أوراقها وأغصانها الغراب والغريبة العنقاء، وفي ذرى أفنانها العقاب والمطوقة الورقاء، فسلمت على الشجرة، فحُييتُ بأحسن من ذلك، وقالت: اسمع أيها السالك المالك خطبة الشجرة الكلية الموصوفة بالمثلية ثم قالت: أنا الشجرة المثلية، الجامعة الكلية، ذات الأصول الراسخة، والفروع الشامخة، غرستني يد الأحد، في بستان الأبد، مستورة عن تصاريف الأمد، فأنا ذات روح وجسد، وثمري مقطوف دون يد، حملت من ثمر العلوم والمعارف، ما لا تستقل بحمله العقول السليمة وأسرار اللطائف، وَرَقي فرش مرفوعة، وفاكهتي غير مقطوعة ولا ممنوعة، ووسطي هو المقصود، وفروعي في هبوط وصعود، فالهابطة للتدلي والإفادة، والصاعدة للتدني والاستفادة، نشأتي كالفلك في الاستدارة، وفروعي منازل الأرواح الطيارة، وزهري كالكواكب السيارة، تتكون المعادن عن سريانها في أبدانها، أنا شجرة النور والكلام، وقرة عين (موسى) عليه السلام، لي من الجهات اليمين الأنفس، ومن الأمكنة الوادي المقدس، ولي من الزمان الآن، ومن المساكن خط الاستواء واعتدال الأركان، فلي الدوام والبقاء، والسعادة دون الشقاء، جني جنتي دان، وفنني يُمسُّ كأنه نشوان، له لطافة وحنان، على جميع الحيوان، لم تزل أفناني للأرواح اللوحية كنادرا، وورقي لها عن تأثير الشعاعات اليوحيّة ساترا، ظلي ممدود لأهل العناية، وجناحي منشور على أهل الولاية، تهب على الأرواح باختلاف تصاريفها، فتخرج أغصاني عن ترتيب تآليفها، فتسمع لذلك التداخل نغمات توله العقول العلوية، على سمو أوجِها، وتجري بها على حسب ما رقم في

درجها، فأنا موسيقار الحكمة، ومزيل الغموم بحسن إيقاع النغمة، فأنا النور الأزهر، ولي البساط الأخضر، والوجه المستدير الأنضر، أيدتُ بالقوى، وشُرّفتُ بالمستوى، وصرت كالهيولى، أقبل جميع الصور في الآخرة والأولى. لا أضيق عن حمل شيء، ولا أنفك عن نور وفيء، فنوري عليَّ، وفيئي لمن استند إليَّ، فأنا الظل الممدود، والطلح المنضود والمعنى المقصود، وكلمة الوجود، وأشرف محدث موجود، وأنزه...[1] عزيزة السلطان، مقدسة المكان، رفيعة المنار، ينبوع الأنوار، جوامع الكلم[2]، معدن الأسرار والحكم، ونسخة الاسم الأعظم، ومَظهر السر المحكم [٩٠ظ].

لـيَ الأرضُ الأريـضـةُ والـسـمـاءُ ... وفـي وسـطـي الـسـواءُ والاسـتـواءُ[3]
لـي الـمـجـد الـمـؤثـل والـبـهـاء ... وسـر الـعـالـمـيـن والاعـتـلاءُ
إذا مـا أمّـت الأفـكـار ذاتـي ... يـحـيـرهـا عـلـى الـبـعـد الـعـمـاءُ
فـمـا فـي الـكـون مـن يـدري وجـودي ... سـوى مـن لا يـقـيـده الـثـنـاءُ
لـه الـتـصـريـف والاحـكـام فـيـنـا ... هـو الـمـخـتـار يـفـعـل مـا يـشـاءُ

خطبة المطوقة الورقاء

ولما سَمِعت المطوقةُ كلامَ الشجرة الكلية، وما جاءت به من المعارف الإلهية، صدحت في روضة قدسها، معربة عن نفسها، قالت:

لما أراد اللّه إيجاد كوني، وإشهاد عيني، وأن يطوقني طوق البها، ويسكنني في سدرة المنتهى، نادى بعُقابه الآمن من عِقابه، وهو بفناء بابه، فأجابه مطيعاً، وقال: ناديتَ سميعاً فقال: إنك في أرض غربة، وإن كنت مني في محل القربة، فإني لست من جنسك، فلا بدّ من استيحاش نفسك، وفيك قرة عين، فأظهرها في العين، تأنس بمجاورتها، وتتنفس بمحاورتها، فإن الأنس فيَّ محال، وأنا شديد المحال، فقال العقاب: وكيف يظهر عني شيء ومقامي العجز؟ وما في قوتي سلطان ولا عز؟

فقال له: الزم المناوحة، فسيظهر عينها عند المكافحة، وهذا هو الانتظام الثاني، والالتحام بالمثاني، فناوح الأمر، فظهرتُ، وناداني الحق، وما عرف العقاب ما جرى به النهر، لشغله

(١) كلمة مطموسة في الأصل.
(٢) (الكلم) زيادة من نسخة (ب).
(٣) من الوافر، ديوان ابن عربي، ٣٧.

بالمهر، وكوني منه في الظهر، فعندما سمع أجابت الندا، قال: ما هذا الذي بدا؟ فصرف النظر إليّ فعشِقني، وهيّمه ما به الحق من الجمال طوقني، فشكا العليل والأليل، ونادى بالحريق والغريق، وبَلبَل بُلبل بلباله، وتعمَّل في إصلاح باله، ويأبى الخرق إلاّ اتساعاً، والعزاء إلاّ امتناعاً، وما أُبيح له لثمي، وشفاؤه في مضاجعتي ضمي، فرفع عنه حجاب الريب، ونودي من خلف سرادقات الغيب، ما لك تنظر في أعطافها، وتوقيع نغماتها؟ ولا تنظر في أوصافها، وبديع حكمتها؟ فدعاني إليه فلبيت، وأمرني بالقعود بين يديه فجثوت، فقال لي تهيامي في حسن مبانيك، أذهلني عن معرفة معانيك، وقد ورد الأمر أن تعرّفيني بنفسك، وتُطلعي لي بارقة من سنا شمسك، فقلت: إن اللّه أوجدني منك عند التقابل، وأظهرني من ظهرك على التماثل، فأنا من قوتك صادرة، وبصورتك ظاهرة، وأودعني حقيقتين، ووهبني رقيقتين: حقيقة أُعرف بها، وحقيقة أكون ما شئته بسببها، ورقيقة مني إليك، تنزلني إذا اشتهيتك عليك، وبها حضرت بين يديك، ورقيقة مني إليه، تنزلني إذا دعاني عليه، فعندما سمع أن بيني وبينه رقيقة ممتدة، وهو قد تحقق بحقائق المودة، نزل في تلك الرقيقة إليّ، حتى امتزجت ذاتي بذاته، وغابت صفاتي في صفاته، وغبنا في لذة الالتحام، وطبنا بحصول الانتظام، ووقع النكاح المعنوي، واجتمع الماءان، في الرحم الآن، وقَبِلَهُ الرَحَمُ بحكمة من حُرِمَ ومَن رُحِم، وبُلَّ العاشقُ من دائه، وارتاح شوقاً إلى ندائه، فهو يتردد بين شوقين، ويغرب في غربين، ويشرق في شرقين، فعندما استُبل [٩١و] من ألمه، ونزح إلى معلمه، وجدت في ذاتي امتلاء لم أكن أعرفه قبل ذلك، وانسدت المجاري له والمسالك، فحركت الرقيقة الإلهية، فأجابني، وقلت: يا إلهي! ما هذا الذي أصابني؟ فقال: تنفسي بذكري، لتظهر عنك كلمة أمري، فتنفست تنفس المثقل، فإذا بالعنقاء قد عمَّرت المعقل، فاسألوا العنقاء عن شأنها فستخبركم بما أودع الحق فيها من لطائفه، ومنحها من عوارفه فقال لسان حالها بصدق مقالها:

أنــا ورقــاء الــمــثــانــي ... مــسـكـنـي روض الـمـعـانـي(١)
أنــا عــيــن فــي الــعــيــانِ ... لــيـس لـي غـيـر الـمـثـانـي
فــيــناديــنــي يــا ثــانــي ... وأنــا لــسـت بـثـانـي
يــنــتــهــي إلــى وجــودي ... كــل شــيء فــي الــكــيــانِ
أنــا أتــلــو مــن تــســامــت ... ذاتــه عــن الــعــيــانِ
لــي حُــكــم مــســتــفــادٌ ... فــي الأقــاصــي والأدانــي

(١) من مجزوء الرمل، ديوان ابن عربي، ٣٧ ـ ٣٨.

لـيـس لـي مَـثَـلٌ سـوى مَـنْ | شـأنـه يـشـبـه شـانـي
فـانـتـقـد إن كـنـت تـبـغـي | مـا أتـى بـه لـسـانـي
مـن رقـائـق تـدلـت | بـحـقـائـق حـسـانِ
لـقـلـوب قـد تـولـت | عـن زخـارف الـجـنـانِ
طـالـبـات مَـنْ تـعـالـى | عـن تـصـاريـف الـزمـانِ
فـهـو الـفـرد الـمـعـلـى | مـا لـه فـي الـحـكـم ثـانـي
وهـو الـذي اجـتـبـانـي | وهـو الـذي اصـطـفـانـي
وأقـامـنـي عـديـلاً | بـيـن دِنٍ ودنـانِ
فـأقـاصـي كـل قـاصٍ | وأدانـي كـل دانـي
وأوالـي كـل والٍ | وأعـانـي كـل عـانـي
فـإذا هُـوِّيـت سـفـلاً | فـبـرَوح الـسـريـانِ[1]
وإذا صُـعِّـدتُ عـلـواً | فـبـتـحـلـيـل الـبـيـانِ[2]
فـأنـا أعـطـي الـمـعـانـي | وأنـا أخـلـي الـمـغـانـي

خطبة العقاب المالك

لما سمع العقاب ما ذكرته المطوقة، وما قررته من العلوم المحققة، قال: صدقتْ فيما ادعته وأظهرت لكم ما وَسِعته.

قلنا له: طر في جو بيانك، وأعرب لنا عن شانك، فاهتز سرير العقاب، وصفق بجناحيه وطاب، وقال:

أنـا الـعـقـابُ لـيَ الـمـقـامُ الأرفـعُ | والـحـسـنُ والـنـورُ الـبـهـيُّ الأسـطـعُ[3]
أُمضي الأمور على مراتب حكمها | فـي الـعـدوة الـدنـيـا وعـزي أمـنـعُ
أنـا فـيـضـه الـسـامـي ونـور وجـوده | وأنـا الـذي أدعـو الـوجـود فـيـخـضـعُ
وأنـا الـذي مـا زلـت قـبـضـة مـوجـدي | فـالـجـود جـودي والـحـقـائـق[4] تـوضـعُ

(١) في الديوان (فبروج).

(٢) في الديوان (فلتحليل المباني).

(٣) من الكامل، ديوان ابن عربي، ٣٨ ـ ٣٩.

(٤) في الديوان، (الخلائق).

نحوي لتطلب ما لها في شربها — مناً فأعطي من أشاء وأمنعُ
أدنو فيبهرني جمال وجوده — أنأى فيدعوني البهاء الأروعُ
فإذا دنوتُ فحكمةٌ مقبولة — لكن لها قلب العلى يتصدعُ
وإذا بعدت فامرة مقسومة — والنور من أرجائها يتشعشعُ
فأنا الأمير إذا بعدت فشقوتي — في إمرتي وسعادتي إذ أنزعُ
فأسرُّ أوقاتي وأسعدها إذا — عاينت أعيان الأهلة تطلعُ

ثم قال: لم أزل في مرتبة من مراتب الكون، وأنا معدوم العين، إلى أن سبقت العناية، وكانت بوجودي البداية، وذلك أنه تجلى بنفسه لنفسه، فامتد وجودي بشهودي، وقبلتُ السورة بالصورة، وكنتُ سريرة بالسريرة، فاستوى عليَّ الاسم الجامع، وحفَّ بركائبه وزيراه: المعطي والمانع، وحاجباه: الضار والنافع، فلما تحقق الاستواء، وبان السواء، ودعتني الأسماء، بالأعز الأسمى، فعمّر الفناء، وبرز البقاء والفناء، وتوالى القسط والفيض واستمر، وثبت البسط والقبض واستقرّ، وصحّ بالمَلَك المُلك، وظهر بالمالكة المُلك، ودار بالفَلك الفُلك [٩١ظ] وناداني نداء التعليم، بلسان التحكيم، أن انظر في ذاتك، بجامع لذاتك، فلما وقع مني النظر، وميّزت بين من يجب له التقدم ممن يجب له النظر، وشرعت المذاهب، وقسّمت الأنوار بين المكاسب والمواهب، وقلت لمن عاينت من الأرواح المهيمة: الزموا الحضرة المهيمة، وقلت لمن عاينتُ من الأرواح المسخَّرة: الزموا المقامات المسخرة، ثم قلت لمن عاينت من الأرواح المدبرة: الزموا الهياكل المدبرة، فراح كل صنف يطلب منزله، ليشاهد منزَّله، وكنت قد عاينت المطوقة الورقاء، وحملها الغريبة العنقاء، غير أني لتقسيم النازل، ذهلت عن النازل، فأنا علم الكون، والمخبوء في أردية الصَوْن، افترى عليَّ جماعة من العقلاء، وتعصّب لأخذي عصابة من الفضلاء، فنصبوا شرك أفكارهم لصدي، وأحالوا علي ما مددتهم به ليستخرجوا حدي، ولما كانت الهمم قد توفرت لتحصيلي في شركهم الفكري، وحصل فيها عقاب على صورتي من الموطن الوهمي، قالوا: هذا هو الحق المبين، ولو عرفوا أن الحق ما بان له ولا يبين، فإن المعرفة بي وبموجدي موقوفة على الوهب، مصروفة عن الكسب، فاستفزهم بشبهته الشيطان، وتخيلوا أنهم قد حلوا بالرُبى، وما نزلوا إلاّ بالغيطان، واشتبه عليهم القِدَمَ بالقَدم، فحكموا علي بالقِدم، وإن وجودي لا عن عدم، فتركتهم بشبهتهم لحماً على وضم، وهكذا ينبغي في من اهتضم الأمر الإلهي الوهبي أن يهتضم، فأنا بريء مما نسبوا، وكافر بما نصبوا، فإن اللّه جل ثنائه في القِدم، وأنا إذ ذاك محكوم علي بالعدم، ثم أوجدني عن عدم لسابقة القدم، فظهر عيني، وأنار بعلمه كوني، وناط بي الفقر والعجز، وأماط عني الأزر والعز، فأنا الذليل الذي لا يُعز، والقوي الذي لم يزل يعجز.

خطبة الغريبة العنقاء

فلما فرغ العقاب من كلامه، وأتى على بيان مقامه، قامت العنقاء تعرب عن وجودها، وتغرب بعزة حدودها فقالت:

أنا عنقاء مغرب، ما زال مسكني بالمغرب، بالمقام الوسيط، على سِيْف البحرِ المحيط، اكتنفني العجز من الجهتين، وما ظهر قط لوجودي عين، وقالت:

فأنا الذي لا عين لي موجود | وأنا الذي لا حكم لي مفقود[1]
عنقاء مغرب قد تُعورف ذكرها | عرفاً وباب وجودها مسدوذ
ما سيّر[2] الرحمن ذكري باطلاً | لكن لمعنى سره المقصود[3]
هو أنني وهّابة أسرارهم | عرفانَهم فصراطنا ممدوذ
والسالكون على مراتب نورهم | فأجلّهم من نوره التجريذ

فبي تكون الحدود، وعليّ توقّف الوجود، يُسمعُ بذكري ولا أرى، وليس الحديث بي حديثاً يفترى، أنا الغريبة العنقاء، وأمي المطوقة الورقاء، ووالدي العقاب المالك، وولدي الغراب الحالك، أنا عنصر النور والظلم، ومحل الأمانة والتهم، لا أقبل النور المطلق فإنه ضدي، ولا أعرف العلم فإني ما أعيد ولا أبدي، كل من اثنى عليّ بعيد الفهم، مقهور تحت سلطان الوهم، ما لي عزة فاحتمي، وهياكل الكون الأعلى والأسفل إليّ تنتمي، أنا الحقيقة [٩٢و] الأجمعة، لما عندي من السعة، فالبسُ لكل حال لبوسها، أما نعيمها وأما بؤسها، لا أعجز عن حمل صورة، وليس لي في السور المعلومة سورة، لكني وُهبتُ أن أهب العلوم ولست بعالمة، وأمنح الأحكام ولست بحاكمة، لا يظهر شيء لم أكن فيه، ولا يحصره طالب مدرك ولا يستوفيه، فبهذا القدر عَظُمتُ في أعين المحققين، ولي جولان في مجالس المطرقين، فهذا قد أبنت عن حالي، وأظهرت صدقي في محالي.

خطبة الغراب الحالك

فقام الغراب وقال:

أنا هيكل الأنوار، وحامل محال الأسرار، ومحل الكيف والكم، وسبب الفرح والغم، أنا

(١) من الرجز، ديوان ابن عربي، ٣٩.
(٢) في الديوان (صير).
(٣) في الديوان (مقصود).

الرئيس المرؤوس، وليس الحس المحسوس، بي ظهرت الرسوم، ومني قام عالم الجسوم، وأنا أصل الأشكال، وبمراتب صوري تُضرب الأمثال، فأنا المصباح والرياح، وأنا سلسلة على صفوان والجناح، أنا البحر الذي طَفِقَ موجه، وأنا فرد المعدود وزوجه، عُرْضي دار كرامته لأوليائه، وعمقي دار إهانته لأعدائه، وطولي مذ وجدت لم يزل، يقابل بذاته الأبد والأزل، فأنا بوطيقي الحكم، وموسيقي النغم، وجامع حقائق الكلم، إليّ المنتهى، وعليّ عوّل أولو النهى، وأنا أسنى ما منح اللهى، أنا الغاية وليست لي غاية، من أجلي أُخذ مَنْ أُخِذ، وبسببي نُبِذَ مَنْ نُبِذ، أنا المطوية باليمين، وأنا قبضة الحق المبين، دعاني الحق إلى حضرته فأتيت، وناداني إلى معرفته فلبيت، أنا صورة الفلك، ومحل الملك، عليّ صح الاستواء، وعني كُني بالمستوى، أنا اللاحق الذي لا أُلحق، كما أن العقاب السابق الذي لا يسبق، هو الأول وأنا الآخر، وله الباطن ولي الظاهر، قُسم الوجود بيني وبينه، وأنا ظهرت عزّه وكونه، توقف عليّ حكمه، وسرى منه علمي، وسرى فيّ علمه، إذا دفعه واهبه، فإليّ لأفيده(1) وإذا أفدته شكرني لأزيده، فقامت طائفة ممن تدّعي العقل الرصين ـ على زعمها ـ وقضت عليّ شبهتهم بحكمها، فناطوا بي قبيح الهجاء، وجعلوني في حلة حُسن الثناء، فجار عليهم وبال ما كانوا يعملون، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، كأني بهم في عمقي يستصرخون، فيجابون: اخسأوا فيها ولا تكلمون، إذا كان في عُرضي أهل الثناء الحسن في حقي فاكهين هم وأزواجهم في روضة يحبرون، قد أثنى عليّ الشرع فما أُبالي، وبيّنَ مرتبتي السمع فما أُغالي، ثم قال:

فأنا السر المسوّى ... خلقه بلا بنانِ(2)
رتّب الأمور فيه ... خالقي لما بناني
فأنا صخر ومني ... تتفجر المعاني
وأنا مع العوالي ... مثل افراس الرهان [٩٢ظ
وأنا الذي توارى ... حشمة(3) عن العيانِ
والذي أجبت ربي ... طائعاً لما دعاني
فالذي يرى وجودي ... لتصاريف الزمانِ
كفؤاد أم موسى ... فارغاً من المعاني

---

(١) في الأصل (لنفيده).

(٢) من مجزوء الرمل، ديوان ابن عربي، ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) في الديوان (حسمه).

فهو الخلي حقاً | من حقائق البيانِ
فأنا أصل المعاني | وأنا أس الأغاني
وأنا سر إمام | فاضل سامي المكانِ
علمه[١] أكمل علمٍ | شأنه أعظم شانِ
هام بي لما رآني | في مقاصير الجنانِ
لا أسميه فإني | خائف حد السنانِ
والذي يفهم رمزي[٢] | هو (صخر بن سنانِ)
أكرم الوجود كفاً | لابتاً عند الطعانِ
فأنا والأم والجدة | والجد المعاني
في وجودنا عن الحق | معاً بلا زمان[٣]
مثلما لاحَ لعينٍ | في الهوى برقُ يماني

فهذا يا (صخر بن سنان)، قد أوضحت لك مقامات أمهات الأكوان، وهي[٤]: الإنسان الكلي، والعقل الأول، والنفس الواحدة، والهيولى، والجسم الكلي، فابحث فيها بحث العاقل الطالب نجاة نفسه، وحضرات قدسه.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وهذا آخر ما رقمناه، وبالحق أنزلناه، من هذه الرسالة المسماة: بـ (الاتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية)[٥].

---

(١) في الأصل (وهمام علمه) والتصحيح من الديوان.

(٢) في الديوان (قولي).

(٣) في الديوان (في وجودنا من الجود معاً بلا زمان).

(٤) في الأصل (وهو) والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٥) أثبت الناسخ في خاتمة الرسالة ما نصّه: «وكان الفراغ من تعليق هذه الرسالة المباركة يوم الجمعة، أول يوم في شهر جمادى الآخر [كذا] من شهور سنة ٩٨٤ من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا (محمد)، وآله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».